مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

الرسالة البعلبكية

المؤلف

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في مكتبة ييل بأمريكا.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

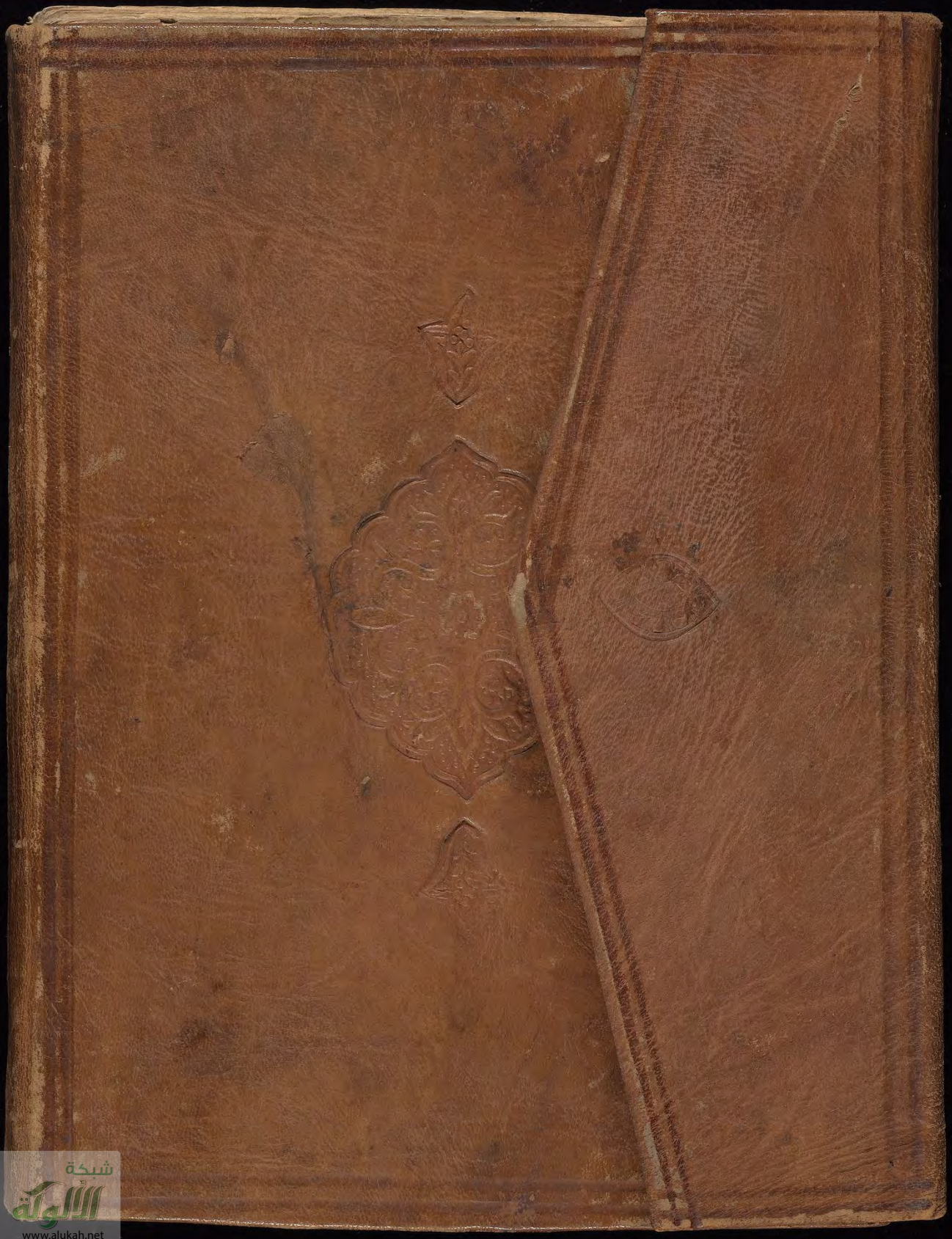
شبكة
الألوكة
www.alukah.net

Landberg
295

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢٩٥

كتاب البهلبكية من مصنفات

وسيدنا وشيخنا الإمام العالم العامل

العلامة تقي الدين

مفتي الفرق مؤيد

السنة المحمدية

ابي العباس

احمد بن تيمية

الحراني

رضي الله

عنه

م م

جملة ما في هذه المجموعة عدد ٢٨٠

عدد كراس ٤٨

ثمانية وعشرين كراس

وجملة ما فيه من الرسايل عدد ٦

ويليه جملة رسايل داخل هذه المجموعة تاليف العلامة المشار اليه رضي الله عنه

امين

م

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بركة

قال الشيخ الامام العالم حجة الاسلام
الانام ناصر السنة قامع البدعة تقي الدين ابو
العباس احمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام
ابن تيمية الحراني رضي الله عنه فصل في بيان
ان القرآن كلام الله ليس شيء منه كلام لغيره
لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما قال الله تعا
لى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم انه ليس له سلطان على الذين امنوا و
على ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين
يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا اية
مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت
مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس
من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى
وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي وهذا لسان عربي مبين فامره
ان يقول نزله روح القدس من ربك بالحق
فان الضمير في قوله قل نزله عائد على

ما في قوله

ما في قوله بما ينزل والمراد به القران كما يدل عليه
سياق الكلام وقوله والله اعلم بما ينزل فيه اخبار
الله بانه انزله لكن ليس في هذه اللفظة بيان ان روح
القدس نزل به ولا انه منزل منه ولفظ الانزال في
في القران قد يرد مقيدا بالانزال منه كنزول القران
وقد يرد مقيدا بالانزال من السماء ويراد به العلو
فيتناول نزول المطر من السحاب ونزول
الملائكة من عند الله وغير ذلك وقد يرد مطلقا
فلا يختص بنوع من الانزال بل ربما يتناول
الانزال من رؤس الجبال كقوله وانزلنا الحديد
فيه باس شديد والانزال من ظهور الحيوان
كانزال الفحل الماء وغير ذلك فقوله نزله
روح القدس من ربك ببيان لينزول جبريل به
من الله فان روح القدس هنا هو جبريل بدليل
قوله من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك
باذن الله وهو الروح الامين في قوله وانه
لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين
على قلبك لتكون من المنذرين وفي قوله
الامين دلالة على انه مؤتمن على ما ارسل به

لا يزيد فيه ولا ينقص منه فان الرسول الخاص
قد يغير الرسالة كما قال في صفته في الآية الاخرى
انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين وفي قوله منزل من ربك دلالة
على امور منها بطلان قول من يقول انه كلام
مخلوق خلقه في جسم من الاجسام المخلوقة
كما هو قول الجهمية الذين قالوا بخلق القرآن
من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم فان
السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال
ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة
جهميا فان جهما اول من ظهرت عنه بدعة
نفي الاسماء والصفات وبالغ في ذلك فلهذه
البدعة مزية المبالغة في النفي والابتداء بكثرة
اظهار ذلك فان الجعد ابن درهم اول والدعوة
اليه وان كان جعد سبقه الى بعض ذلك فان
الجعد ابن درهم اول من احدث ذلك في الاسلام
فضحي به خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم
النحر فقال يا ايها الناس ضحوا يقبل الله
ضحايا كم فاني مضح بالجعد ابن درهم انه

زعم ان الله

زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى
تكليما تعالى الله عما يقول الجهد علوا كبيرا
ثم نزل فذبحه ولكن المعتزله وان وافقوا جهما
على بعض ذلك فهم يخالفونه في مسايل غير ذلك
ذلك كمسايل الايمان والقدر وبعض مسايل الصفات
ايضا ولا يبالغون في النفي مبالغته وجهم يقول
ان الله لا يتكلم او يقول انه يتكلم بطريق المجاز
واما المعتزله فيقولون انه يتكلم حقيقة لكن
قولهم في المعنى هو قول جهم وجهم ينفي
الاسماء ايضا كما نفتها الباطنية ومن وافقهم
من الفلاسفة واما جمهور المعتزله فلا ينفون
الاسماء والمقصود ان قوله منزل من ربك بالحق
فيه بيان انه منزل من الله لا من مخلوق من
المخلوقات ولهذا قال السلف منه بدا اي هو
الذي تكلم به لم يبتدئ من غيره كما قالت الجهمية
ومنها ان قوله منزل من ربك فيه بطلان قول
من يجعله فاضت على نفس النبي من العقل
الفعال او غيره كما يقول ذلك طوايف من
الفلاسفة والصابئة وهذا القول اعظم كفرا

وطلا لا من الذى قبله ومنها ان هذه الايه ايضا
تبطل قول من يقول ان القران العربى :
ليس منزلا من الله بل مخلوق اما فى جبريل
او محمد او جسم اخر غيرهما كما تقول ذلك
الكلابية والاشعريه الذين يقولون القران
العربى ليس هو كلام الله وانما كلام المعنى
القايم بذاته والقران العربى خلق ليدل على
ذلك المعنى ثم اما ان يكون خلق فى بعض الا
جسام الهوى او غيره او الهمه جبريل فعبر
عنه بالقران العربى او الهمه محمد فعبر عنه
بالقران العربى او يكون اخذه جبريل من
اللوح المحفوظ او غيره فهذه الاقوال التى
تقال تفريعا على هذا القول ان هذا القران
العربى لابد له من متكلم تكلم به اولا قبل
ان يصل الينا وهذا القول يوافق قول اهل
المعتزله ونحوهم فى اثبات خلق القران القرى
وكذلك التوريه الصبريه ويفارقه من وجهين
احدهما ان اولئك يقولون ان المخلوق كلام
الله وهؤلاء لا يقولون انه كلام الله لكن يسمى

كلام الله

كلام الله مجاز وهذا قول ابي منصور وجمهورهم
وقال طايفة من متاخريهم بل لفظ الكلام يقال
على هذا وهذا بالاشتراك اللفظي لكن هذا
ينقض اصلهم في ابطال قيام الكلام بغير
المتكلم به وهم مع هذا يقولون ان المخلوق
كلام الله حقيقة كما تقوله المعتزله مع
قولهم انه كلامه حقيقة وهذا شر من قول
المعتزله وهذا حقيقة قول الاخرين
الجهمية ومن هذا الوجه فقول المعتزله اقرب
وقول الاخرين هو قول الجهمية المحضه
لكن المعتزله في المعنى يوافقون لهؤلاء وانما
ينازعونهم في اللفظ الثاني ان هؤلاء يقولون
لله كلام هو معنى قديم قايم بذاته والخلقيه
يقولون لا يقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه
فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر لكن
جمهور الناس يقولون ان اصحاب هذا القول
عند التحقيق لم يثبتوا كلاما له حقيقة غير
المخلوق فانهم يقولون انه معنى واحد هو
الامر والنهي والخبر ان عبر عنه بالعربية

كان قرانا وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة
وان عبر عنه بالسريانية كان انجيل ومنهم
من قال هو خمس معان وجمهور العقلا
يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد
التصور التام والعقلا الكثيرون لا يتفقون
على الكذب وحد الضرورات من غير تواطؤ
واتفاق كما في خبر الاخبار المتواترة وانما مع التوا
طؤ فقد يتفقون على الكذب عمدا وقد يتفقون
على حد الضرورات وان لم يعلم كل منهم
انه جاحد للضرورة ولم يفهم حقيقة القول
الذي يعتقده لحسن ظنه فيمن يقلد قوله
ولمحبته لنصر ذلك القول كما اتفقت النصارى
والرافضة وغيرهم من الطوايف على مقالات يعلم
فسادها بالضرورة وقال جمهور العقلا نحن
اذا عربنا التوراة والانجيل لم يكن معنى ذلك
معنى القران بل معاني هذا ليست هذا وكذلك معنى
قل هو الله احد ليس هو معنى تبت يدا ابي لهب
ولا معنى اية الكرسي هو معنى اية الدين وقالوا
اذا جوز ان يكون العلم بالحقايق المتنوعة
شيا واحدا فجوز

شيأ واحدا فيجوز ان يكون العلم والقدرة والكلام
والسمع والبصر صفة واحدة فاعترف ايمة هذا
القول بان هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلي
ثم منهم من قال الناس في الصفات اما مثبت لها
قائل بالتعدد واما نافي لها واما اثبات واثحادها فخالف
الاجماع وهذه طريقة القاضي ابي بكر وابي المعالي
وغيرهما ومنهم من اعترف بانه ليس له عنه جواب
كابي الحسن الامدي وغيره والمقصود هنا ان
هذه الايه تبين بطلان هذا القول كما تبين
بطلان غيره فان قوله قل نزله روح القدس من
ربك بالحق يقتضي نزول القران من ربه والقران
اسم للقران العربي لفظه ومعناه بدليل
قوله فاذا قرات القران وانما يقرا القران العربي
لا يقرا معانيه المجردة وايضا فضمير المفعول
في قوله نزله عايد الى ما في قوله والله اعلم بما ينزل
فالذي انزله الله هو الذي نزله روح القدس فاذا
كان روح القدس نزل بالقران العربي لزم ان يكون
نزله من الله فلا يكون شيء منه نزل من عين من
الاعيان المخلوقة ولا نزله من نفسه وايضا فانه

قال عقيب هذه الآية ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي
وهذا لسان عربي مبين وهم كانوا يقولون انما
يعلمه هذا القرآن العربي بشر لم يكونوا يقولون
انما يعلمه بشر معانيه فقط بدليل قوله لسان
الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين
فانه تعالى ابطل قول الكفار بان لسان الذي
الحدوا اليه بان اضافوا اليه هذا القرآن فجعله
هو الذي يعلم محمدا القرآن لسان اعجمي والقرآن
لسان عربي مبين وعبر عن هذا المعنى بلفظ
يلحدون لما تضمن من معنى يميلهم عن الحق
ويميلهم الى هذا الذي اضافوا اليه القرآن فان
لفظ الالحاد يقتضي ميلا عن شيء الى شيء
فلو كان الكفار قالوا يعلمه معانيه فقط لم يكن
هذا ردا لقولهم فان الانسان قد يتعلم من الاعجمي شيئا
بلغة ذلك الاعجمي ويعبر عنه هو بعبارته
وقد اشتهر في التفاسير ان بعض الكفار كانوا يقولون
هو تعلمه من شخص كان بمكة اعجمي فيقال انه
كان مولى لابن الحضرمي واذا كان الكفار

جعلوا الذي

جعله الذي يعلمه ما نزل به روح القدس
بشرا والله ابطل ذلك بان لسان ذلك اعجمي وهذا
وهذا لسان عربي مبين علم ان روح القدس نزل
باللسان العربي المبين وان محمدا لم يؤلف نظم
القرآن بل سمعه من روح القدس واذا كان
روح القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه
لم يؤلفه هو وهذا بيان من الله ان القرآن الذي
هو اللسان العربي المبين سمعه روح القدس
من الله ونزل به منه ونظير هذه الاية قوله تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس
والجن الى قوله فذرهم وما يفترون وكذلك قوله
وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين اتينا
هم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا
تكونن من الممترين والكتاب اسم للقرآن العربي
بالضرورة والاتفاق فان لكل اية او بعضهم يفرق
بين كلام الله وكتاب الله فيقول كلامه هو
المعنى القايم بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو
المنظوم المؤلف العربي وهو مخلوق والقرآن يراد
به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمى نفسه

مجموع اللفظ والمعنى قرانا وكتابا وكلا اما
فقال تعالى الر تلك ايات الكتاب وقرآن
مبين وقال ~~واذ صرفنا~~ ملسم تلك ايات الكتاب
وقران مبين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن
يستمعون القران الى قوله قالوا يا قومنا انا
سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فبين ان الذى
سمعوه هو القران وهو الكتاب وقال بل هو قران
مجيد فى لوح محفوظ وقال انه لقران كريم فى كتاب
مكنون وقال يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة
وقال والطور وكتاب مسطور فى رق منشور
وقال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه
بايديهم ولكن لفظ الكتاب يراد به المكتوب فيكون
هو الكلام وقد يراد به ما كتب فيه كما قال انه
لقران كريم فى كتاب مكنون وقال ونخرج له يوم
القيمة كتابا يلقاه منشورا والمقصود هنا ان
قوله وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا بينا
ول نزول القران العربى على كل قول وقد اخبر ان
الذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق اخبار مستشهد بهم لا مكذب لهم وقال

انهم يعلمون

انهم يعلمون ذلك ولم يقل انهم يظنونه او يقو
لونه والعلم لا يكون الا حقا مطابقا للمعلوم
بخلاف القول والظن الذي ينقسم الى حق وبا
طل فعلم ان القرآن العربي منزل من الله لا من الهوى
ولا من اللوح ولا من جسم اخر ولا من جبريل ولا من
محمد ولا غيرهما واذا كان اهل الكتاب يعلمون
ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الامة كان اهل الكتاب
المقرون بذلك خيرا منه من هذا الوجه وهذا لا ينافي
ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله
انا انزلناه في ليلة القدر انه انزله الى بيت العزة في سما
الدنيا ثم انزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث
ولا ينافي انه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله
كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ و
قال تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا
يمسه الا المطهرون وقال تعالى كلا انه تذ
كرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة
مطهرة بايدي سفرة كرام برره وقال تعالى وانه
في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم فان كونه مكتوبا
في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بايدي

الملائكة لا ينافي ان يكون جبريل نزل به من
سواء كتبه الله قبل ان يرسل به جبريل او بعد
ذلك واذا كان قد انزله مكتوبا الى بيت العزة
جملة واحدة ليلة القدر فقد كتبه كله قبل
ان ينزله والله تعالى يعلم ما كان وما يكون
وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وهو سبحانه
قد قدر مقادير الخلائق وكتب اعمال العباد
قبل ان يعملوها كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة
واثار السلف ثم انه يامر الملك بكتابتها بعد ما
يعلمونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود
والكتابة المتاخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت
هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف وهو حق
فاذا كان ما يخلقه باينا عنه قد كتبه قبل ان يخلقه
فكيف يستبعد ان يكتب كلاما الذي يرسل به
الملائكة قبل ان يرسلهم به ومن قال ان جبريل
اخذ القران عن الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا
باطلا من وجوه منها ان الله سبحانه وتعالى قد كتب
التوراة لموسى بيده فبنو اسرايل اخذوا كلام الله
من الكتاب الذي كتبه هو سبحانه فيه فان كان

محمد اخذه

محمد اخذه عن جبريل وجبريل عن الكتاب كان بنوا
اسرايل اعلم من محمد بدرجه وهاكذا من قال انه
القى الى جبريل معانى وان جبريل عبر عنها بالكلام
العربى فقوله يستلزم ان يكون جبريل الهمه الهاما
وهذا الالهام يكون لاحاد المؤمنين كما قال تعالى
واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بى وبرسولى وقال
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه وقد اوحى الى سائر
النبيين فيكون هذا الوحى الذى يكون لاحاد الانبيا
والمؤمنين اعلى من اخذ محمد القران عن جبريل لان
جبريل الذى علمه لمحمد هو بمنزلة الواحد من هؤلاء
وايضا فالله تعالى يقول انا اوحينا اليك كما اوحينا الى
نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله
وكلم الله موسى تكليما ففضل موسى بالتكليم على
غيره ممن اوحى اليه فهذا يدل على امور على ان الله
يكلم عبده تكليما ايدا على الوحى الذى هو قسيم التكليم
الخاص فان لفظ التكليم العام هو المقسوم فى قوله
وكان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا فتكليم المطلق هو قسم الوحى

والوحى كل منهما ينقسم الى عام وخاص فالتكلم

الخاص ليس قسما منه وكذلك لفظ الوحي قد يكون
عاما فيدخل فيه التكلم الخاص كما في قوله لموسى
فاستمع لما يوحى وقد يكون قسم التكليم الخاص كما
في سورة الشورى وهذا يبطل قول من يقول الكلام معنى
معنى وحد قايم بالذات فانه حينئذ لا فرق بين التكلم
الذي خص به موسى والوحي العام الذي يكون لاحاد
الصباد ومثل هذا قوله في الاية الاخرى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل
رسولا فيوحي باذنه ما يشا فانه فرق بين الايحاء وبين
التكلم من وراء حجاب وبين ارسال رسول فيوحي باذنه
ما يشا فدل على ان التكلم من وراء حجاب كما
كلم موسى امر غير الايحاء وايضا فقوله تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم وقوله حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز العليم وقوله حم تنزيل من الرحمن الرحيم
واشباه ذلك يدل على انه منزل من الله لا من غيره
وكذلك قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك فانه
يدل على ان اثبات ما انزل اليه من ربه فانه مامور بتبليغ
ذلك وايضا فهم يقولون انه معنى واحد فان كان
موسى سمع جميع المعنى فقد سمع جميع كلام الله
وان سمع بعضه

وان سمع بعضه فقد تبعض وكل ما يتبعض
فقولهم فانهم يقولون انه معنى واحد لا يتعدد
ولا يتبعض فان كان ما سمعه موسى والملائكة
هو ذلك المعنى كله كان كل منهم علم جميع
كلام الله وكلامه متضمن لجميع خبره وجميع
امره فيلزم ان يكون كل واحد ممن كلمه الله او انزل عليه
شيا من كلامه عالما بجميع اخبار الله واوامره وهذا
معلوم الفساد بالضرورة وان كان الواحد من هؤلاء
انما يسمع بعضه فقد تبعض كلامه وذلك يناقض قولهم
وايضا فقوله وكلم الله موسى تكليما وقوله ولما جاء
موسى لميقاتنا وكلمه ربه وقوله ونادينا من جانب
الطور الايمن وقربناه نجيا وقوله فلما اتاها نودي يا
موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس
طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى الايات دليل على تكلم
سمعه موسى والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة ومن
قال انه يسمع فهو مكابر ودليل على انه ناداه والا
لا يكون الا صوتا مسموعا لا يعقل في لغة العرب
لفظ النداء غير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجاز
وايضا فقد قال تعالى فلما جاءها نودي ان بورك

من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين وقال
تعالى فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في
البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب
العالمين وقال وهل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد
المقدس طوى وقال فلما اتاها نودي يا موسى اني انا
ربك وفي هذا دليل على انه حينئذ نودي لم يناد قبل
ذلك وما فيها من معنى الظرف كما في قوله وانه لما قام
عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ومثل هذا قوله
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ويوم
يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون فانه
وقت النداء ظرف محدود فدل على ان النداء يقع في ذلك
الحين دون غيره وجعل الظرف للنداء لا لسمع النداء
ومثل هذا قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة وقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم وامثال ذلك مما فيه توقيت بعض اقوال الرب
بوقت معين فان الكلابية ومن وافقهم من اصحاب
الائمة الاربعة يقولون انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته
الكلام المعين لازم لذاته كلزوم الحياة لذاته ثم من
هؤلاء من قال انه معنى واحد لان الحروف والاصوات

منها منافية ان

متعاقبه ان تكون قديمة ومنهم من قال بل الحروف
والاصوات قديمة الاعيان وانها مترتبه فى ذاتها
متقارنة فى وجودها لم تزل ولا تزال قايمة بذاته والنداء
الذى سمعه موسى قديم ازلي لم يزل ولا يزال ومنهم
من قال بل الحروف قديمة الاعيان بخلاف الاصوات
وكل هؤلاء يقولون انه المتكلم والنداء ليس الا مجرد خلق
ادراك المخلوق بحيث يسمع ما لم يزل ولا يزال
لانه يكون هناك كلام يتكلم الله به بمشيئته وقدرته
ولا تكلم بكلام يتكلم الله به بمشيئته وقدرته بل كلامه
تكليمه عندهم جعل العبد سامعا لما كان موجودا قبل
سمعه بمنزلة ما يجعل الاعمى بصيرا لما كان موجودا
قبل سمعه ورؤيته من غير احداث شئ منفصل عن الا
عمى عندهم كما جاء موسى لميقات ربه سمع النداء القديم
لانه حينئذ نودى ولهذا يقولون انه يسمع كلامه
لخلقه بدل قول الناس انه يكلم خلقه وهؤلاء يردون
على الخلقيه الذين يقولون القران مخلوق ويقولون
عن انفسهم اهل السنة الموافقون للسلف الذين قالوا
القران كلام الله غير مخلوق وليس قولهم قول السلف
لكن قولهم اقرب الى قول السلف من وجه وقول

الخلقيه اقرب الى قول السلف من وجه اما كون قولهم
اقرب فلانهم يثبتون لله كل ما قاله بنفس الله وهذا قول
السلف بخلف الخلقية الذين يقولون ليس كلامه الا ما
خلقه في غيره فان قول هولاء مخالف لقول السلف واما
كون قول الخلقيه اقرب فلانهم يقولون ان الله يتكلم
بمشيئته وقدرته وهذا قول السلف وهولاء عندهم لا يقدر
الله على شئ من كلامه وليس كلامه بمشيئته وختيارة
بل كلامه عندهم كحياته وهم يقولون الكلام عندنا
صفة ذات لا صفة فعل والخلقية يقولون صفة
فعل لا صفة ذات ومذهب السلف انه صفة ذات
وفعل معنى فكل منهما موافق للسلف من وجه
دون وجه واختلافهم في كلامه تعالى شبه اختلافهم
في افعاله تعالى رضاه وغضبه وارادته وكراهته
وحبه وبغضه وفرحه وسخطه ونحو ذلك فان هولاء
يقولون هذه كلها الصور مخلوقه بائنة عنه ترجع الا
الثواب والعقاب والاخرون يقولون بل هذه كلها
لصور قديمة الاعيان قائمة بذاته ثم منهم من يجعلها
كلها تعود الى ارادة واحدة العين متعلقه بجميع المخلو
قات ومنهم من يقول بل هي صفات متعددة الاعيان

لكن يقول

لكن يقول كل واحدة الفين قديمة قبل وجود
مقتضاها كما قالوا مثل ذلك في الكلام والله تعالى يقول
ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط
اعمالهم اسخطته وقال تعالى فلما اسفونا انتقمنا منهم اي
اغضبونا وقال تعالى ادعوني استجب لكم الى امثال ذلك
ذلك مما بين انه سخط على الكفار بما كفروا ورضي عن المومنين
لما امنوا ونظير هذا احتك فهم في مسايل القدر فان المعتزله
يقولون انه يفعل لحكمة ومقصود والارادة الاحسان الى العباد
لكن لا يستلزم فعله حكمة تعود اليه واوليك يقولون لا
يفعل لحكمة ولا لمقصود اصلا فاوليك اثبتوا حكمة
لكن لا تقوم به وهؤلاء لا يثبتون له حكمة ولا مقصودا
يتصف به والفريقان لا يثبتون له حكمة تعود اليه وكذلك
في الكلام اوليك اثبتوا كلاما هو فعله لا يقوم به
وهؤلاء لا يقولون ما لا يقوم به ولا يعود حكمة اليه والفريقان
يمنعون ان يقوم به حكمة مرادة له كما منع الفريقان
ان يقوم به كلام وفعل يريده وقول اوليك اقرب الى
قول السلف والفقها اذا اثبتوا الحكمة والمصلحة في افعاله
واحكامه واثبتوا كلا ما يتكلم به بقدرته ومشيئته وقول
هؤلاء اقرب الى قول السلف اذا اثبتوا الصفات وقالوا لا يوصف

بمجرد المخلوق المنفصل عنه الذى لم يقم به اصلا و
يعود اليه حكم من شئ لم يقم به فلا يكون متكلما بكلام لم يقم به
ولا يكون حليما ورحيما حكيما ورحيما لم تقم به كما لا
يكون عليما بعلم لم يقم به وقديرا بقدرة لم تقم به ولا يكون
محبا راضيا غضبانا يحب ويرضى ويغضب لم يقم به فكل من
المعتزلة والاشعريه فى مسايل كلام الله وافعال الله
وافقوا السلف والايمه من وجه وخالفوهم من وجه وليس
قول احدهما هو قول السلف دون الاخر لكن الاشعريه
فى جنس مسايل الصفات وسايل الصفات
والقدر اقرب الى قول السلف والايمة من المعتزله
فان قيل فقد قال تعالى انه لقول رسول كريم وهذا يدل
على ان الرسول احدث الكلام العربى قيل هذا باطل
وذلك ان الله ذكر هذا فى موضعين والرسول فى
احد الموضعين محمد والرسول فى الاية الاخرى
جبريل وقال تعالى فى سورة الحاقه انه لقول رسول
كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن
قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين فالرسول
هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال فى سورة التكوير
انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع
ثم امين

ثم آمين فالرسول هنا جبريل فلو كان اضافه الى الرسول
لكونه احدث حروفه او احدث منه شيا لكان الخبران
متناقضين فانه ان كان احدهما هو الذى احدثها
امتنع ان يكون الاخر هو الذى احدثها وايضا فانه قال
انه لقول رسول كريم ولم يقل لقول ملك ولا نبي ولفظ
الرسول يستلزم مرسلا له فدل ذلك على ان الرسول مبلغ
له عن مرسله لا انه انشاه منه شا من جهة نفسه وهذا
يدل على انه اضافه الى الرسول لانه بلغه واداه لا لانه انشا
منه شا ولا ابتداه وايضا فان الله قد كفر من جعله قول البشر
بقوله انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم
عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يوثر ان هذا
الا قول البشر ومحمد بشر فمن قال انه قول محمد فقد كفر
ولا فرق بين ان يقول هو قول بشر او جني او ملك فمن
جعله قولا لاحد من هؤلا فقد كفر ومع هذا فقد قال
تعالى انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر فجعله قول
الرسول البشري مع تكفير من يقول انه قول البشر فعلم
ان المراد بذلك ان الرسول بلغه عن مرسله لا انه قول له
من تلقا نفسه وهو كلام الله الذى ارسله كما قال تعالى
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله

فالذي بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه ولهذا كان النبي
صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموسم ويقول
ألا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي فان قريشا قد
منعوني ان ابلغ كلام ربي رواه ابو داود وغيره والكلام كلام
من قاله مبتدئا لا كلام من قاله مبلغا مؤديا وموسى سمع
كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من
بعض فسماع موسى سماع مطلق بلا واسطة وسماع الناس
سماع مقيد بواسطة كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
ففرق بين التكليم من وراء حجاب كتكليم موسى وبين التكليم
بواسطة الرسول كما كلم الانبيا بارسال رسول اليهم تكلم
به بحروفه ومعانيه بصوته صلى الله عليه وسلم ثم
المبلغون عنه يبلغون كلامه بحركاتهم واصواتهم كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا حديثا
فبلغه كما سمعه فالمستمع منه يبلغ حديثه كما سمعه
لكن بصوت نفسه لا بصوت الرسول فالكلام
هو كلام الرسول تكلم به بصوته والمبلغ بلغ كلام الرسول
الرسول بصوت نفسه واذا كان هذا معلوما فيمن
يبلغ كلام المخلوق فكلام الخالق اولى بذلك

ولهذا قال

ولهذا قال تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى
يسمع كلام الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن
باصواتكم فجعل الكلام كلام الباري والصوت الذي يحصل
بقراءة العبد صوت القاري واصوات العباد ليست
هي جعل الصوت الذي ينادي الله به ويتكلم به كما شيء
نطقت النصوص بذلك بل ولا مثله فان الله ليس كمثله شيء
لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله فليس علمه مثل
علم المخلوقين ولا قدرته مثل قدرتهم ولا كلامه مثل كلامهم
ولا تلاوته مثل تلاوتهم ولا صوته مثل اصواتهم فمن قال عن القرآن
الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله او كلام غير الله فهو
ملحد مبتدع ضال ومن قال ان اصوات العباد والمداد
الذي يكتب به القرآن قديم ازلي فهو ملحد مبتدع
ضال بل هذا القرآن هو كلام الله وهو مثبت في المصاحف
وهو كلام الله مبلغا عنه مسموعا من القراء ليس هو مسموعا
منه والانسان يرى الشمس والقمر والكوكب بطريق
المباشرة ويراها في ماء او مرآة فهذه رويه مقيدة بالواسطة
وتلك رؤية مطلقة بطريق المباشرة وكذلك
الكلام يسمع من المتكلم به بطريق المباشرة ويسمع من
المبلغ عنه بواسطة والمقصود بالسماع هو كلامه

مطلب ليس مثل الله شيء

في الموضعين كان المقصود بالرؤية هو المرئي في
الموضعين فمن عرف ما بين الحالين من الاجتماع
والافتراق والاختلاف والاتفاق زالت عنه الشبهة
التي تصيب كثيرا من الناس في هذا الباب فان طائفة
قالت هذا المسموع كلام الله والمسموع صوت العبد و
صوته مخلوق فكلام الله مخلوق وهذا جهل فانه مسموع
من المبلغ ولا يلزم اذا كان صوت المبلغ مخلوقا ان يكون
الكلام مخلوقا وطائفة قالت هذا المسموع صوت العبد وهو
مخلوق والقرآن ليس بمخلوق فلا يكون هذا المسموع
كلام الله وهذا جهل فان المخلوق هو الصوت لا ما
قام بنفس الكلام الذي يسمع من المتكلم به ومن المبلغ عنه و
طائفة قالت هذا كلام الله وكلام الله غير مخلوق فيكون
هذا الصوت غير مخلوق وهذا جهل فانه اذا قيل هذا
كلام الله فالمشار اليه الكلام من حيث هو وهو الثابت
اذا سمع من الله واذا سمع من المبلغ عنه فاذا قيل للمسموع
عنه انه كلام الله فهو كلام الله مسموع من المبلغ عنه
لا مسموعا منه فهو مسموع بواسطة صوت العبد وهو
العبد مخلوق واما كلام الله نفسه فهو غير مخلوق فهو
حيث ما تصرف وهذه نكت قد بسط الكلام فيها في

غير هذ

غير هذا الموضع **فصل فان قيل** ما منشاء
هذا النزاع والاشتباه والتفرق والاختلاف قيل منشاءه
هو الكلام الذى ذمه السلف وعابوه وهو الكلام المشتبه
المشتمل على حق وباطل فيه ما يوافق العقل والسمع وفيه ما
يخالف العقل والسمع فياخذ هو لاجانب النفى المشتمل على نفى
الحق والباطل وهؤلاء جانب الاثبات المشتمل على اثبات حق
وباطل وجماعه هو الكلام المخالف للكتاب والسنة واجماع
السلف فكل كلام خالف ذلك فهو باطل ولا يخالف ذلك الا
كلام مخالف للعقل والسمع وذلك انه لما نظروا فى مسئلة
حدوث العالم واثبات الصانع استدل الجهميه والمعتزله
ومن وافقهم من طوايف اهل الكلام على ذلك بان لا يخلوا
عن الحوادث فهو حادث ثم ان المستدلين بذلك على حوادث
الاجسام قالوا ان الاجسام لا تخلوا عن الحوادث وما لا يخلوا
عن الحوادث فهو حادث ثم تقريرهم طرقهم فى المقدمه
الاولى فتارة يثبتونها بان الاجسام لا تخلوا عن الحركه
والسكون وهما حادثان وتارة يثبتونها بان الاجسام
لا تخلوا عن الاجتماع والافتراق وهما حادثان وتارة
يثبتونها بان الاجسام لا تخلوا عن الاكوان الاربعه الا
جتماع والافتراق والحركه والسكون وهى حادثه وهذه

طرق المعتزله ومن وافقهم على ان الاجسام قد تخلو عن
بعض انواع الاعراض وتارة يثبتونها بان الجسم لا يخلو من
كل جنس من الاعراض عن عرض منه ويقولون القابل للشئ
لا يخلو عنه وعن ضده ويقولون ان الاعراض يمتنع بقا
ؤها لان العرض لا يبقى زمانين وهذه الطريقه هى التى اختا
رها الامدى وزيف ماسواها وذكر ان جمهور اصحابه
اعتمدوا عليها وقد وافقهم عليها طايفة من الفقها
اصحاب الايمة الاربعه كالقاضى ابى يعلى وابى المعالى المعروف
الجوينى وابى الوليد الباجى وامثالهم واما الهشاميه
والكراميه وغيرهم من الطوايف الذين لا يقولون بحدوث
كل جسم ويقولون ان القديم تقوم به الحوادث فهاولا اذا
قالوا بان ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث كما هو قول الكرامیه
وغيرهم موافقة للمعتزله فى هذا الاصل فانهم يقولون ان المجسم
الجسم القديم يخلو عن الحوادث بخلاف الاجسام المحدثه
فانها لا تخلو عن الحوادث والناس متنازعون فى السكون هل
هو امر وجودى او عدمى فمن قال انه وجودى قال ان
الجسم الذى لا يخلو عن الحركة والسكون اذا انتفت عنه
الحركه قام به السكون الوجودى وهذا قول من يحتج
بتعاقب الحركة والسكون على حدوث المتصف بذلك

ومن قال انه

ومن قال انه عدمي لم يلزم من عدم الحركه عن المحل
ثبوت سكون وجودي فمن قال انه يقوم به الحركه حادث
او الحوادث بعدها لم تكن مع قوله بامتناع تعاقب الحوا
كما هو قول الكرامية وغيرهم يقولون اذا قامت به
الحركه لم يعدم بقيامها سكون وجودي بل ذلك عندهم
بمنزلة قولهم مع المعتزلة والاشعرية وغيرهم انه يفعل
بعدان لم يكن فاعلا ولا يقولون ان عدم الفعل امر وجودي
كذلك الحركه عندهؤلاء وكان كثير من اهل الكلام يقولون
يقولون ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث او ما لا
يسبق الحوادث فهو حادث بناء على ان هذه مقدمة
ظاهرة فان ما لا يسبق الحادث فلا بدان يقارنه او يكون
بعده وما قارن الحادث فهو حادث وما كان بعده فهو حادث
وحادث وهذا الكلام مجمل فانه اذا اريد ما لا يخلو عن الحا
الحادث المعين او ما لا يسبق الحادث المعين فهو حق بلا نز
ولا نزع فيه وكذلك اذا اريد بالحادث جملة ما له اول او كان بعد
العدم ونحو ذلك واما اذا اريد بالحوادث الامور التي تتلو
شيأ بعد شيء لا الى اول وقيل انه لا يخلو عنها وما لم يخل عنها
فهو حادث لم يكن ذلك ظاهرا ولا بينا بل هذا مقام حار
كثير من الافهام وكثر فيه النزاع والخصام ولهذا صار المستدلون

بلغ من الافهام

بقولهم ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث يعلمون ان هذا
الدليل لا يتم الا اذا اثبتوا امتناع حوادث لا اول لها قد
ذكروا في ذلك طرقا قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع
وهذا الاصل تنازع الناس فيه على ثلاثة اقوال فقيل
ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبامتناع حوادث
لا اول لها مطلقا وهذا قول المعتزله ومن اتبعهم من
الكرامية والاشعرية ومن دخل في ذلك من الفقها
وغيرهم وقيل وقيل بل يجوز دوام الحوادث مطلقا
وليس كل ما قارب حادثا الى اول يجب ان يكون حا
دثا بل يجوز ان يكون قديما سواء كان واجبا بنفسه او بغيره
وبما عبر عنه بالعلة والمعلول والفاعل والمفعول
ونحو ذلك وهذا قول الفلاسفه القايلين بقدم الافلاك
كارسطو واتباعه مثل يامسطيوس والاسكندر الافرد
يوسي وبرقليس والفارابي وابن سينا وامثالهم واما جمهور
الفلاسفه المتقدمين على ارسطو فلم يكونوا يقولون بقدم
الافلاك ثم الفلاسفه من هولاء وهولاء متنازعون في قيام
الصفات والحوادث بواجب الوجود على قولين معروفين
لهم واثبات ذلك قول كثير من الاساطين القدما وبعض
المتاخرين كابي البركات صاحب المعتبر وغيره كما بسطت

بعد حادث ٣٨

اقولهم

اقوالهم في غير هذا الموضع وقيل بل ان كان الملتزم
المستلزم للحوادث ممكنا بنفسه وهو الذي يسمى مفعولا
ومعلولا ومربوبا ونحو ذلك من العبارات وجب ان يكون حادثا
وان كان واجبا بنفسه لم يجب ان يكون حادثا وهذا قول ائمة اهل
الملل واساطين الفلاسفة وهو قول جماهير اهل الحديث
وصاحب هذا القول يقول ما لا يخلو عن الحوادث وهو ممكن
بنفسه فهو حادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو مفعول او معلول
او مبتدع او مصنوع فهو حادث لانه اذا كان مفعولا مستلزما
للحوادث امتنع ان يكون قديما فان القديم المعلول لا يكون قديما
الا اذا كان له موجب قديم بذاته يستلزم معلوله بحيث يكون معه
ازليا لا يتاخر عنه وهذا ممتنع فانما استلزم الحوادث يمتنع
ان يكون فاعله موجبا بذاته يستلزم معلوله في الازل فان الحوا
دث المتعاقبة شيء بعد شيء لا يكون مجموعها في الازل ولا يكون
شيء منها ازليا بل الازلي هو دوامها واحدا بعد واحد والموجب
بذاته المستلزم لمعلوله في الازل لا يكون معلوله شيئا بعد شيء
سواء كان صادرا عنه بواسطة او بغير واسطة فانما كان واحدا
بعد واحد يكون متعاقبا حادثا شيئا بعد شيء فيمتنع ان يكون
معلولا مقارنا لعلته في الازل بخلاف ما اذا قيل ان المقارن
لذلك هو الواجب بذاته الذي يفعل شيئا بعد شيء فانه

على هذا التقدير لا يكون في الازل موجبا بذاته ولا
علة تامة لشئ من العالم فلا يكون معه في الازل
من المخلوقات شئ لكن فاعليته للمفعولات تكون شيئا
بعد شئ وكل مفعول يوجد عند وجود كمال فاعليته
اذ المؤثر التام المستلزم لجميع شروط التاثير لا يتخلف عنه
اثره اذ لو تخلف لم يكن مؤثرا تاما فوجود الاثر يستلزم وجود
المؤثر التام ووجود المؤثر التام يستلزم وجود الاثر فليس
في الازل مؤثر تام فليس مع الله شئ من مخلوقاته قديم بقدمه
والازل ليس هو حد محدودا ولا وقتا معينا بل كل ما يقدره
العقل من الغاية التي ينتهي اليها فالازل قبل ذلك كما هو
قبل ما قدره فالازل لا اول له كما ان الابد لا آخر له وفي الحد
يث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انت الاول
فليس قبلك شئ وانت الاخر فليس بعدك شئ فلو قال انه مؤثر
تام في الازل لشئ من الاشياء لزم ان يكون مقارنا له دايما ولا
وذلك ينافي كونه مفعولا له وانما يصح مثل هذا في الصفة
اللازمة للموصوف فانه اذا قيل الذات مقتضى تام لصفة
كان المعنى ان الذات مستلزمة للصفة المراد بذلك انه الذات
مبتدعة للصفة فانه اذا تصور معنى المبدع امتنع في
المقارن تسريح المفعول سواء سمي علة فاعلا او فاعلا

او خالقا

او خالفا او غير ذلك وامتنع ان يقوم بالاثر شئ من
الحوادث لان كل حادث لا يحدث الا اذا وجد مؤثر التام
عند حدوثه وان كانت ذات المؤثر موجودة قبل ذلك لكن
لابد من كمال وجود شروط التاثير عند وجود الاثر والا
لزم الترجيح بلا مرجح وتخلف المعلوم عن العلة
التامة ووجد الممكن بدون المرجح وتخلف المعلوم عن
العلة التام وكل هذا ممتنع فامتنع ان يكون مؤثر لشئ من
الحوادث في الازل وامتنع ان يكون مؤثرا في الازل فيما
يستلزم الحوادث لان وجود الملزوم بدون اللازم محال
فامتنع ان يكون المفعول المستلزم للحوادث قديما واذا قيل
ذاته مقتضية للحادث الثاني بشرط انقضاء الاول قيل فليس هو
مقتضيا لشئ واحدا بما فلا يكون معه قديم على مفعولاته وقيل ايضا
هذا انما يكون اذا كانت لذاته احوال متعاقبة تختلف المفعولات
لاجلها فاما اذا قدر انه لا يقوم بها شئ من الاحوال المتعاقبة
بل حالها عند وجود الحادث كحالها قبله كان امتناع فعله للحوادث
للحوادث المتعاقبة الثانية اعظم من امتناع فعله لحادث
معين فاذا كان الثاني ممتنعا عندهم فالاول اولى بالامتناع
ومتى كان للذات احوال متعاقبة تقوم بها بطلت كل حجة لهم على قدم
شئ من العالم وامتنع ايضا قدم شئ من العالم اذا كان المفعول لا بد له

من فاعل حادث والفعل الحادث لا يكون مفعوله الا حادثا
وهذا مبسوط في غير هذا الموضع فصل واذا عرف
الاصل الذي منه تفرع نزاع الناس في مسئلة كلام الله
فالذين قالوا ما لا سبق الحوادث فهو حادث تنازعوا في كلام الله
تعالى فقال كثير من هؤلاء الكلام لا يكون الا بمشيئة المتكلم
وقدرته فيكون حادثا كغيره من الحوادث ثم قالت طائفة والرب
لا يقوم به الحوادث فيكون الكلام مخلوقا في غيره فجعلوا الكلام مخلوقا
من المخلوقات ولم يفرقوا بين قال وفعل وقد علم ان المخلوقات
لا يتصف بها الخالق فلا يتصف بها يخلقه في غيره من الالوان
والاصوات والروائح والحركة والعلم والقدرة والسمع والبصر
فكيف يتصف بما يخلقه في غيره من الكلام ولو جاز ذلك لكان ما يخلقه
من انطاق الجمادات كلامه ومن علم انه خالق كلام العباد وافعالهم
يلزم ان يقول كل كلام في الوجود فهو كلامه كما قال بعض الاتحادية
وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه وهذا قول
الجهمية والنجارية والضرارية وغيرهم فان هؤلاء يقولون
انه خالق افعال العباد وكلامهم مع قولهم ان كلامه مخلوق
فيلزمهم هذا واما المعتزلة فلا يقولون كما ان الله خالق افعال
العباد لكن الحجة توجب القول بذلك وقالت طائفة بل الكلام
لا بد ان يقوم بالمتكلم ويمتنع ان لا يكون كلامه الا مخلوقا في غيره
وهو متكلم بمشيئته وقدرته فيكون كلامه حادث بعد ان لم
يكن لامتناع حوادث لا اول لها وهذا قول الكرامية وغيرهم
ثم من

بلغ مقابلة

ثم من هؤلاء من يقول كلامه حادث لا محدث ومن هم من
يقول هو حادث ومحدث وقال كثير من هؤلاء الذين
يقولون بامتناع حوادث لا أول لها مطلقا الكلام لازم
لذات الرب كلزوم الحياة ليس هو متعلقا بمشيئته وقدرته
بل هو قديم كقدم الحياة اذ لو قلنا انه بقدرته ومشيئته
لزم ان يكون حادثا وحينئذ فيلزم ان يكون محلا
او قائما بذات الرب فيلزم قيام الحوادث وذلك يستلزم
تسلسل الحوادث لان القابل للشئ لا يخلو عنه وعن ضده
قالوا وتسلسل الحوادث ممتنع اذا التفريع على هذا الاصل
ثم ان هؤلاء لما قالوا بقدم عين الكلام تنازعوا فقالت طائفة
القديم لا يكون حروفا ولا اصواتا لان الصوت يستحيل بقاؤه كما
يستحيل بقاء الحركة وما امتنع بقاؤه امتنع قدم عينه بطريق
الاولى والاخرى فيمتنع قدم شئ من الاصوات المعينة
كما يمتنع قدم شئ من الحركات المعينة لان تلك لا تكون كلاما
اذا كانت متعاقبة والقديم لا يكون مسبوقا بغيره فلو كانت الكلمة من
بسم الله قديمة مع كونه مسبوقة بغيره لكان القديم مسبوقا بغيره
وهذا ممتنع فيلزم ان يكون القديم هو المعنى فقط ولا يجوز تعدده
لانه لو تعدد لكان اختصاصه بقدر دون قدر ترجيحا بلا
مرجح وان كان لا يتناهى لزم وجود اعداد لا نهاية لها في آن

واحد قالوا وهذا ممتنع فيلزم ان يكون معنى واحدا هو الامر
والخبر وهو معنى التوريه والانجيل والقران وهذا اصل قول
الكلابية والاشعرية وقالت طائفة من اهل الكلام ان
والحديث والفقها وغيرهم بل هو حروف قديمة الاعيان
لم تزل ولا تزال وهي مترتبة في ذاتها لا في وجودها
كالحروف الموجودة في المصحف وليس باصوات لم
قديمة ومنهم من قال بل هو ايضا اصوات قديمة و
يفرق هؤلا بين الحروف المنطوقة التي لا توجد الا متعاقبة
وبين الحروف المكتوبة التي توجد في آن واحد كما يفرق بين
الاصوات والمداد فان الاصوات لا تبقى بخلاف المداد
فانه جسم يبقى واذا كان الصوت لا يبقى امتنع ان يكون
الصوت المعين قديما لان ما وجب قدمه لزم بقاؤه وامتنع
عدمه والحروف المكتوبة قد يراد بها نفس الشكل القايم
بالمداد وما يقدر تقدير المداد كالشكل المصنوع في حجر وورق
وورق بازالة بعض اجزائه وقد يراد بالحروف
نفس المداد واما الحروف المنطوقة فقد يراد بها ايضا الاصوات
المقطعة المؤلفة وقد يراد بها حدود الاصوات واطرافها
كما يراد بالحرف في الجسم حدته ومنتهاه فيقال حرف السيف
وحرف الجبل ووجد منه قوله تعالى ومن الناس من
يعبد الله على حرف

بصبد الله على حرف وقد يراد بالحروف الحروف الخالية
وهو ما يتشكل في باطن الانسان من الكلام المؤلف
المنظوم قبل ان يتكلم به وقد تنازعوا الناس هل
يمكن وجود حروف بدون اصوات في الحي الناطق على قولين
لهم وعلى هذا تنازع هذه الطايفه القايلة بقدم اعيان الحروف
هل تكون قديمه بدون اصوات قديمه ام لا بد من اصوت
قديمه لم تزل ولا تزال ثم القايلون بقدم الاصوات قديمه
ام لا المصنفة تنازعوا في المسموع من القاري هل يسمع
يسمع منه الصوت القديم فقيل المسموع هو الصوت
القديم وقيل بل المسموع صوتان احدهما القديم والاخر
المحدث فما لا بد منه في وجود القراءة فهو القديم وما
زاد على ذلك فهو المحدث وقيل بل الصوت القديم غير
المسموع من العبد وتنازعوا في القراءات هل يقال انه
حال في المصحف والصدور ام لا يقال ذلك على قولين
فقيل هو ظاهر في المحدث ليس بحال فيه وقيل بل القراءات
حال في الصدور والمصحف فهؤلاء الخلقية والحادثيه
والاتحاديه والاقترانيه اصل قولهم ان ما لا سبق
الحوادث فهو حادث مطلقا ومن قال بهذا الاصل
فانه يلزمه بعض هذه الاقوال او ما يشبه ذلك فان

من الناس من يجعله حادثا بمعنى انه كان بعد ان لم يكن
ويجعل الحادث واردات وتصورات لا حروف واصوات
والراوي غيره فيكون الى هذا القول فانه اما ان يجعل
كلام الله حادثا اقديما واذا كان حادثا فاما ان يكون
حادثا في غيره واما ان يكون القديم المعنى فقط او اللفظ
او كلاهما فان كان القديم هو المعنى فقط لزم ان لا يكون
الكلام العربي كلام الله ثم الكلام في ذلك المعنى قد عرف
واما قديم اللفظ فهذا لم يقل به احد لكن من الناس من يقول
ان الكلام القديم هو اللفظ واما معناه فليس هو داخلا
في مسمى الكلام بل هو العلم والارادة وهما قديمان لكن
ليس ذلك داخلا في مسمى الكلام وهذا يقول الكلام القديم
هو اللفظ فقط فاما الحروف اما الحروف المؤلفة واما الحرف
والاصوات لكنه يقول ان معناه قديم واما الفريق الثاني
الذين يقولون فالوا بجواز حوادث لا أول لها مطلقا وان
القديم الواجب بنفسه يجوز ان تعتقب عليه الحوادث
مطلقا كما كان ممكنا لا واجبا بنفسه فهؤلاء هم القائلون
بقدم العالم كما يقولون بقدم هذا الافلاك المعلولات
صدورة عن علة واحدة بسيطة من كل وجه فصار جميعه
حقيقة قولهم ان الحوادث العلوية والسفلية لا تحدث

والعالم

وانها لم تزل ولا تزال معلولة لعلة قديمة ازلية لكن المنتسبون
الى الملل كابن سينا ونحوه منهم قالوا انها صادرة عن الواجب
بنفسه الموجب لها بذاته واما ارسطو واتباعه فانما قالوا ان
لها علة غائية تتحرك للتشبه بها فهي تحركها كما يحرك المعشوق
عاشقه ولم يثبتوا لها مبتدعا ولا موجبا بذاته وانما اثبت
واجب الوجود بطريقه الوجود بن سينا وامثاله وحقيقة قول
هولاء في وجود الحوادث بلا محدث اصلا واما على قول من جعل
الاول علة غائية للحركة وظاهر انه لا يلزم من ذلك
ان يكون هو فاعلا لها فقولهم في حركات الافلاك نظير قول
بعضهم القدرية في حركة الحيوان فكل من الطايفتين
قد تناقض قولهم فان هؤلاء يقولون بان فعل الحيوان
صادر عن غيره لكون القدرة والداعي مستلزمان وجود
الفعل والقدرة والداعي كل هما من غير العبد فيقال
لهم فقولوا هكذا في حركة الفلك وقدرته وداعيه انه
يجب ان يكون صادرين عن غيره وحينئذ فيكون الواجب
بنفسه المحدث لتلك الحوادث شيا بعد شيء وان كان
ذلك بواسطة العقول وهذا القول هو الذي يقوله ابن سينا
واتباعه وهو باطل ايضا لان الموجب بذاته القديم
بقارنه موجبه ومقتضاه يمتنع ان يصدر عنه حادث

بواسطة او لا بواسطة فان صدور الحوادث عن
العلة التامة الازلية ممتنع لذاته واذ قالوا الحركة
متوسطة اي حركة الفلك قيل لهم فالكلام انما هو في
حدوث الحركة فان الحركة الحادثة شيا بعد شئ يمتنع
ان يكون المقتضي لها علة تامة ازلية مستلزمة لمعلولها
فان ذلك جمع بين النقيضين اذ القول بمقارنة المعلول
لعلته في الازل ووجوده معها يناقض ان يتخلف المعلول
او شئ من المعلول عن الازل بل يمتنع ان يكون المقتضي لها
ذاتا بسيطة لا يقوم بها شئ من هذه الصفات والاحوال
المقتضية لحدوث الحوادث المتعاقبة المختلفة بل يمتنع
يمتنع ان يكون المقتضي لها ذات موصوفة لا يقوم بها شئ
من الاحوال الموجبة لحدوث الحوادث المذكورة فان
التجدد والتعدد الموجود في المعلولات يمتنع صدوره عن
علة واحدة بسيطة من كل وجه فصار حقيقة قولهم
ان الحوادث الفلكية والسفلية لا محدث لها وهؤلاء

م م يقولون كل ما في الله ما ينبغي على النفوس الصافية كما ان ملائكة الله عندهم
ما يشكل فيها من الصور النورانية فلا يتبقى له كلاما خارجا عما في نفوس
البشر ولا ملائكة خارجة عما في نفوسهم غير العقول العشرة والنفوس الفلكية
التسعة مع انهم في الكثير يقولون انها اعراض وقد بين في غير

هذا

هذا الموضع ان ما يثبتونه من المجردات العقليه التي هي العقول والنفوس
والمواد والصور انما وجودها في الاذهان لا في الاعيان واما
الصنف الثالث الذين فرقوا بين الواجب والممكن والخالق والمخلوق
والغني الذي لا يفتقر الى غيره والفقير الذي لا قوام له الا بالغني فقالوا
انها قادت الحوادث من الممكنات فهو محدث كاين بعد ان لم يكن وهو
مخلوق مصنوع مربوب وانه يمتنع ان يكون فيما هو ممكن مربوب
شيء قديم فضلا عن ان يفارقه حوادث لا اول لها ولهذا كانت
حركات الفلك دليلا على حدوثه كما تقدم التنبيه على ذلك واما
الرب تعالى اذا قيل لم يزل متكلما اذا شاء ولم يزل فاعلا لما
يشاء لم يكن قد قام به كونه متكلما بمشيته وقدرته وقد لزم كونه
فاعلا بمشيته وقدرته ممتنعا بذاته هو الواجب لان صفة الكلام
كمال لا نقص فيه فالرب احق بان يتصف بالكمال من كل موصوف
بالكلام اذ كل كمال لا نقص فيه ثبت للمخلوق فالخالق اولى به لان
القديم الواجب الخالق احق بالكمال المطلق من المحدث الممكن المخلوق
كل كمال ثبت للمخلوق فانما هو من الخالق وما جاز اتصافه
به من الكمال وجب له فانه لو لم يجب له لكان اما ممتنعا وهو
محال بخلاف الفرض واما ممكنا فيتوقف ثبوته له على غيره
والرب لا يحتاج في ثبوت كماله الى غيره فان معطي الكمال احق
بالكمال فيلزم ان يكون غير الكامل منه لو كان غيره معطيا له الكمال

وهذا ممتنع بل هو بنفسه المقدس مستحق لصفات
الكمال فلا يتوقف ثبوت كونه متكلما على غيره فيجب
ثبوت كونه متكلما وان ذلك لم يزل ولا يزال والمتكلم قدرته
بمشيئته وقدرته اكمل ممن يكون الكلام لازما له بدون قدرته
ومشيئته والذي لم يزل متكلما اذا شاء اكمل ممن صار الكلام
بمكنه بعد ان لم يكن الكلام ممكنا له وحينئذ فكلامه قديم
مع انه يتكلم بمشيئته وقدرته وان قيل انه ينادي ويتكلم
بصوت ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين واذا كان قد تكلم بل
قرآن والتوراة والانجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع ان يتكلم
بالباء قبل السين وان نوع الباء والسين قديما يستلزم ان يكون
الباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق بين
النوع والعين وهذا الفرق ثابت في الكلام والارادة والسمع
والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات وبه تنحل الاشكالات
الواردة على وحدة هذه الصفات وتعددها وقدمها وحدوثها
وكذلك تزول به الاشكالات الواردة في افعال الرب
وقدمها وحدوثها وحدوث العالم واذا قيل ان حروف
المعجم قديمة بمعنى النوع كان ذلك ممكنا بخلاف ما اذا قيل
ان عين اللفظ الذي نطق به زيد وعمرو قديم فان هذا ممكن برة
للحس والمتكلم يعلم ان حروف المعجم كانت موجودة قبل

وجود نوعها

وجود تشوعها واما نفس الصوت المعين الذى قام به
او التقطيع والتأليف المعين لذلك الصوت فيعلم ان
عينه لم يكن موجودا قبله والمنقول عن الامام
احمد وغيره من ايمة السنة مطابق لهذا القول ولهذا
انكروا على من قال لما خلق الله الحروف سجدت له
الالف فقالت لا اسجد حتى اومع ان هذه الحكاية
نقلت لاحمد عن سري السقطي وهو تلقاها عن ابى
بكر بن حنيس العابد ولم يكن قصد اولئك الشيوخ بها
الا بيان ان العبد الذى يتوقف فعله على الامر والشرع
هو الكامل من العبد الذى يعبد الله بغير شرع فان كثيرا
من العباد يعبدون الله بما تحبه قلوبهم وان لم يكونوا
ماموربين به فقصدا ولئك الشيوخ أن من عبد الله بلا
بالامر ولم يفعل شيا حتى يومر به فهو افضل ممن عبده
بما لم يومر به وذكروا هذه الحكاية الاسرائيلية شاهدا
لذلك مع ان هذه لا اسناد لها ولا ثبت بها حكم ولكن
الاسرائيليات اذا ذكرت على طريق الاستشهاد بها
لما عرف صحته لم يكن بذكرها باس وقصدوا بذلك
الحروف المكتوبة ان الالف منتصبة وغيرها ليس كذلك
مع ان هذا امر اصطلاحى وخط غير العربى لا يماثل خط

العربي ولم يكن قصد اولئك الاشياخ أن نفس الحروف
المنطوقة التي هي مباني اسما الله الحسنى وكتبه المنزلة
مخلوقة باينة عن الله بل هذا شيء لقلة تحصيل يخطر بقلوبهم
بهم والحروف المنطوقة لا يقال فيها انها منتصبة ولا
ساجدة فمن احتج بهذا في قولهم على انهم يقولون ان الله
لم يتكلم بالقرآن العربي ولا بالتوراة العبرية فقد قال عنهم
ما لم يقولوه وأما الامام احمد انكر اطلاق هذا القول وما يفهم
منه عند الاطلاق وهو ان نفس حروف المعجم مخلوقة فهذا
جهمي يسلك طريقا الى البدعة فانه قال ان ذكرك مخلوق
فقد قال ان القرآن مخلوق او كما قال ولا ريب أن من جعل
نوع الحروف مخلوقا باينا عن الله كما بينا بعد ان لم يكن لزم ان
يكون كلام الله العربي والعبري ونحوهما مخلوقا او امتنع ان
يكون الله تكلم بكلامه الذي انزله على عباده ولا يكون شيء
من ذلك كلامه فطريقة الامام احمد وغيره من السلف
مطابقة للقول الثالث الموافق لصريح المعقول
وصحيح المنقول وقال الشيخ الامام ابو الحسن
محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه
الفصول في الاصول سمعت الامام ابا منصور محمد بن احمد
يقول سمعت الامام ابا بكر عبد الله ابن احمد يقول سمعت
الشيخ ابا حامد الاسفرايني يقول مذهبي ومذهب الشافعي

وفقها

وفقها الامصار ان القران كلام الله غير مخلوق فهو
ومن قال مخلوق فهو كافر والقران حمله جبريل عليه
السلام مسموعا من الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم
سمعه من جبريل والصحابه سمعوه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو الذي نتلوه نحن مقروءا بالسنتنا
بالسنتنا وفيما بين الدفتين ومافي صدورنا مسموعا
ومكتوبا ومقروءا ومحفوظا وكل حرف منه كالباء والتاء كلام
الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين والكلام على هذا الامور
مبسوط في غير هذا الموضع وذكر ما يتعلق بهذا الباب من سائر
الصفات كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام
في نعت الصفة واتحادها وقدمها وحدوثها وقدم النوع دون
الاعيان او اثبات صفة كلية عمومية متناولة للاعيان
مع عدم كل معين من الاعيان او غير ذلك مما قيل في هذا
الباب فان هذه مواضع مشكلة ومن مزالق العقول ولهذا
اضطرب فيها طوائف من اذكياء الناس وفطارهم
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو
حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين
وصلواته على سيدنا محمد واله وصحبه
وسلم تسليما

نسخه لعاين